مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنوياً مؤقتاً

السنة الأولى - العدد الأول

1395 - 1394 - 1393

1985 - 1984

تصدر عن كلية الدعوة الإسلامية

طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

دراسات إسلامية

القرآن شريعة المجتمع

الأستاذ محمد فتح الله الزيادي

لا بد لنا في البداية وكمدخل لهذا الموضوع أن نتعرف على الكلمات التي تكون عنوان موضوعنا وهي القرآن والشريعة والمجتمع .

فالقرآن كما عرفه الأقدمون ويعرفه المحدثون هو : كلام الله المعجز المنزل على سيدنا محمد ﷺ المتحدي بأقصر سورة منه المنقول بالتواتر المكتوب بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس . أما الشريعة فهي مجموعة القوانين والأحكام والقواعد التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات ، والمجتمع هو مجموعة من الناس تعيش في بقعة واحدة من الأرض وترتبط بروابطمتعددة ،وهو أيضاً مجموعة من الظواهر المختلفة التي تنشأ نتيجة اختلاط الناس بعضهم ببعض ، فهو اذاً يتكون من عنصرين أحدهما مادي ويشمل البيئة والسكان ، وثانيهما معنوي ويشمل التقاليد والعادات والعرف وما إلى ذلك .

إذاً ومن خلال ما تقدم نجد أن كل مجتمع بحاجة إلى قانون وذلك انطلاقاً من أن الفرد الذي هو النواة الأولى للمجتمع تتحكم به مجموعة من الغرائز توجه سلوكه ومعاملاته مع الآخرين ولو ترك الإنسان وفق ما تقتضيه أهواؤه وغرائزه لطغى على حقوق الآخرين . ولساد قانون الغاب في النهاية ، ولهذا احتاجت المجتمعات البشرية في كل طور من أطوار حياتها إلى قانون يضبط تصرفات أفرادها وينظم علاقاتهم الداخلية والخارجية ، ومن أجل هذا أيضاً اقتضت حكمة الله تعالى أن يتكفل البشرية برعايته ويشملهم بلطفه فيرسل إليهم بين الفينة والأخرى رسولاً يحمل إليهم تشريعاً إلهياً ينظم حياتهم الدينية والدنيوية أي يبين لهم علاقتهم مع خالقهم وعلاقتهم مع بعضهم وعلاقتهم مع ظواهر الكون الأخرى ﴿ **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾[1] ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾[2] وهكذا تتابع الرسل وتعددت التشريعات الإلهية التي بعث بها هؤلاء الرسل رغم وحدة أصولها ومنابعها ومبادئها إلى أن ختم الله الرسالات الإلهيةبرسالة الإسلام الخالدة التي لم يخص بها مجتمع معين وإنما خوطب بها العالم بأسره وحملها إلى البشرية خاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

وإلى جانب الرسالات الإلهية وما حملته من تشريعات فقد عرفت البشرية أيضاً أنواعاً أخرى من القوانين

الوضعية التي وضعها أفراد أو اتفقت عليها جماعات ، ويتحدث علماء القانون عن نشأة القوانين الوضعية فيقولون : « إنه بدأ يتكون مع تكون الأسرة والقبيلة ، وإن كلمة رب الأسرة كانت قانون الأسرة ، وكلمة شيخ القبيلة كانت قانون القبيلة ، وإن القانون ظل يتطور مع الجماعة حتى تكونت الدولة وإن عادات كل أسرة كانت لا تتفق مع عادات غيرها من الأسر ، وتقاليد كل قبيلة لم تكن مماثلة لتقاليد غيرها من القبائل . وإن الدولة حين بدأت تتكون وحدت العادات والتقاليد وجعلت منها قانوناً ملزماً لجميع الأفراد والأسر والقبائل الداخلين في نطاق الدولة . ولكن قانون كل دولة لم يكن يتفق في الغالب مع قوانين الدول الأخرى ، وظل هذا الخلاف حتى بدأت المرحلة الأخيرة من التطور القانوني في أعقاب القرن الثامن عشر على هدى النظريات الفلسفية والعلمية والاجتماعية فتطور القانون الوضعي من ذلك الوقت حتى الآن تطوراً عظيمًا ، وأصبح قائمًا على نظريات لم يكن لها وجود في العهود السابقة »[3] .

وإذا كانت البشرية قد عرفت ـ خلال فترات تاريخها الطويل ـ نوعين من التشريعات ، تشريعات إلهية وتشريعات وضعية ، فإن السؤال الذي يجب أن يطرح هنا هو أي هذين النوعين أصلح لحياة البشرية ولماذا ؟ وللإجابة عن هذا السؤال الذي قد يبدو بديهياً أقول إنه شتان بين تشريع الخالق وتشريع المخلوق ، فالخالق يشرع وهو خبير بخبايا وظواهر المخلوقين عالم بحاجاتهم وما يناسبها بصير بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، أما المخلوق فهو يشرع وفي نفسه أهواء ونزعات مختلفة وتحيط به ظروف شتى ويقع تحت تأثيرات متنوعة ، ومن هنا يتضح الفرق بين الاثنين ، إذ الكمال واضح في الأول وضوح القصور في الثاني ، ولكي يزداد الفرق وضوحاً يجب أن نضع في اعتبارنا النقاط التالية :

1 ـ يختلف التشريع الإلهي عن القانون الوضعي من حيث مصدر كل منهما فالأول مصدره الله سبحانه وتعالى خالق الكون كله وصانعه فهو سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية ومن ثم فإن تشريعاً مصدره الخالق لا بد وأن يكون متصفاً بالكمال المطلق ، أما الثاني فمصدره جماعة ذوو تفكير محدود ضيق ، يعلمون قليلاً من الماضي ويلمون بجزء من الحاضر ويحجب عنهم المستقبل نهائياً ، ولذا فإن تشريعهم غالباً ما يصادف اعتراضات كثيرة نتيجة ثغرات أغفل ذكرها المشرع ، ولذلك فالنقص دائمًا ملازم للقوانين الوضعية ، والتغيير في نصوص القوانين جزئياً أو كلياً أمر عادي جداً إما للنقص المستمر الذي يكشفه التطبيق لهذه القوانين أو لأن القوانين عادة ما تكون مرتبطة بشكل السلطة التي تمت في عهدها ، فإذا ما اعترى الدولة تغيير سياسي سارعت السلطات الجديدة إلى تغيير القوانين السابقة لتتلاءم مع ما تهدف إليه .

2 ـ يختلف الاثنان أيضاً من حيث النشأة فالقوانين الوضعية تنشأ صغيرة محدودة القواعد والأحكام ثم تتطور بتطور الجماعة واتساع دائرتها ، فكلما ظهرت بين أفراد المجتمع ظاهرة كلما كان المجتمع في حاجة إلى من يقنن هذه الظاهرة ويضعها في شكلها التشريعي ، وهكذا ينشأ القانون الوضعي صغيراً ثم ينمو ويقوى كلما تطورت الجماعة وتقدمت ، ومع نشأته التدريجية هذه فإنه لا يمكن إطلاقاً أن يصل إلى درجة الكمال المطلوب . وعلى العكس من ذلك تماماً نجد التشريع الإلهي ينزل ـ (وخاصة في مرحلته النهائية) ـ كاملاً لا نقص فيه جامعاً لكل أمور الدنيا والدين مخاطباً أفراد المجتمعات البشرية بأسرها ، مبيناً ما ينظم أمور الأفراد وما ينظم أمور

الجماعات وأيضاً ما ينظم أمور الدول في علاقاتها سلمًا وحرباً . والشريعة الإلهية لا تتأثر بتغير الأزمان ، ولا تتغير بتغير أنظمة الحكم ، ولا توجد بها ثغرات أثناء التطبيق .

وحين ندقق في التشريعين الإلهي والوضعي نجد أن الفرق واضح جداً بحيث إن القانون الوضعي لا يرقى إلى مستوى مقارنته بالتشريع الإلهي إذ لا مجال للمقارنة بين الخالق والمخلوق ولكن هذه المقارنة تفرضها وقائع الحياة وأحداثها التي غالباً ما تجدها تعتمد القوانين الوضعية التي تستطيع تغييرها وتعديلها لتساير أهواء وظروف واضعيها الأمر الذي لا يوفره التشريع الإلهي الذي يشرع للمجتمع كله ولا يتأثر بهوى أو نزعة ذاتية ولا يقبل التبديل أو التغيير ، ومن ذلك يمكن أن نقول إن التشريع الإلهي يتميز بالآتي : 1 ـ الكمال أي أنه يستكمل كل ما تحتاج إليه المجتمعات من قواعد ومبادىء ونظريات تكفل حاجات الجماعة في مختلف الأزمنة . 2 ـ السمو أي أن أحكامه أسمى دائمًا من مستوى الجماعة ارتفع أو انخفض مستوى تفكيرها . 3 ـ الدوام أي الثبات والاستقرار الذي لا يخضع للتأثيرات المختلفة مهما كان نوعها[4] .

وإذا عرفنا ذلك تأكد لدينا أن المجتمع بحاجة إلى تشريع إلهي ينظم علاقاته كلها ، وأن القوانين الوضعية لا يمكن لها أبداً أن تمكن الفرد من العيش حراً سعيداً يتمتع بدنياه ويتطلع إلى آخرته دون تسلط أو تجبر من أحد ، وإذا كان الأمر كذلك فأي التشريعات الإلهية يمكن أن تكون أصلح لحياة المجتمعات أهي تشريعات العهد القديم أم هي تشريعات العهد الجديد أم الإسلام ؟

وإجابة عن ذلك أقول إن التشريعات الإلهية كلها تنهل من معين واحد وتتجه نحو مصب واحد ، وهي حلقات في سلسلة يكمل بعضها بعضاً ، وهي لبنات متراكمة في بناء الدين والأخلاق وسياسة المجتمعات وكان الإسلام آخر لبنة في هذا الصرح ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال مصوراً الرسالات السماوية : «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[5] ولذلك كان اسم الدين الختامي أو الشريعة النهائية اسمًا عاماً يجمع كل الديانات السابقة فهذا نوح يقول لقومه ﴿ **وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾[6] ويعقوب يوصي بنيه ﴿ **فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾[7] وأبناء يعقوب يقولون ﴿ **نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون** ﴾[8] وموسى يقول ﴿ **يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾[9] والحواريون يقولون لعيسى : ﴿ **آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون** ﴾[10][11] ، ونرى أيضاً القرآن نفسه ينص على وحدة الرسالات السماوية ووحدة تشريعاتها فيقول : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه** ﴾[12] ويأمر القرآن أيضاً بالإيمان بالرسل السابقين لرسالة الإسلام وكتبهم فيقول : ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾[13] .

ومع اعترافنا وإيماننا الكامل بوحدة الرسالات والتشريعات الإلهية فإننا يجب أن نعترف أيضاً ـ انطلاقاً من نصوص القرآن ـ بأن الإسلام هو خاتم التشريعات الإلهية ، وأنه تضمن خلاصة الرسالات السابقة وزاد عليها

بما به كمال الإنسانية ورقيها المادي والروحي ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[14] ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[15] وبناء على ذلك فقد جاءت هذه الرسالة تحمل شريعة عامة موجهة إلى جميع الناس مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم في كل زمان وفي كل مكان ابتداء من وقت بعثته ﷺ حتى يوم القيامة ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[16] ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾[17] .

من كل ذلك نعلم أن الإسلام هو نهاية المطاف بالنسبة للرسالات الإلهية وهو الشريعة التي ارتضاها الله لأن تكون فيصل كل أمر فيما بقي من سنوات هذه الحياة الفانية ، وما دام القرآن الكريم هو الذي احتوى تعاليم هذه الرسالة الخاتمة ، وما دام أيضاً قد احتوى تشريعاً متكاملاً ينظم كل أمور الدين والدنيا وجب علينا أن نتيقن تمام اليقين أن القرآن هو شريعة المجتمع التي يجب أن تسود كل بقعة من بقاع الدنيا في هذا العصر وفي العصور القادمة وإلى أن تقوم الساعة .

ومع هذه الحقيقة التي يجب أن نودعها في قلوبنا يجب علينا أيضاً أن نضع في اعتبارنا عدة حقائق أخرى مهمة تقوي هذا الاعتقاد وتزكيه ، وهذه الحقائق يمكن اجمالها فيما يلي :

أولاً : أن القرآن الكريم مصدر تشريعي إلهي ثابت لا مجال للتشكيك في صحة نسبته إلى الله تعالى أو في صحة وصوله إلينا ، أما الأولى فقد تمت مناقشتها في زمن الرسول ﷺ وأجاب القرآن الكريم عنها حين قال : ﴿ أم يقولون افتريه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوامن استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾[18] ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[19] وهكذا أغلق القرآن الكريم الباب أمام كل من يريد التشكيك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الله تعالى ، واتبع في ذلك أسلوباً يقوم على التحدي في الاتيان ولو بسورة مثله ، ورغم اشتهار من انزل في وقتهم بالفصاحة والبلاغة إلا أنهم وقفوا عاجزين أمام بلاغة القرآن وإعجازه .

أما الثانية : وهي صحة وصوله إلينا فهو أيضاً أمر هام وربما يمثل محور الارتكاز في هذا الموضوع ، فالقرآن الكريم تميز بعناية ورعاية وحرص شديد في توثيقه وكتابته وجمعه ، وكانت هذه العناية إلهية أولاً حيث يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ويقول أيضاً ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ ، وكانت أيضاً عناية نبوية فالرسول ﷺ كان حريصاً جداً على إيصال الوحي وتبليغه كما أنزله الله حتى إنه كان يردده بسرعة خشية أن يضيع منه قبل كتابته ، وقد زاد حرصه هذا حتى نبهه القرآن على ذلك وقال له : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ ومع حرص النبي الشفوي هذا فقد حرص عليه من جانب آخر وهو التوثيق التحريري فقد كان للرسول كتاب للوحي يستدعيهم كلما نزل الوحي ليكتبوه على أدوات الكتابة المتوفرة في ذلك الوقت ، وكان للرسول ﷺ دور آخر هو عرض مجموع ما نزل على جبريل كل سنة ، وعارضه مرتين في آخر سنة من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإلى جانب هذا الحرص النبوي الشديد على توثيق القرآن كان هناك دور آخر يقوم به الصحابة رضوان الله عليهم فقد كانوا يسارعون إلى حفظ

وتلاوة كل آية تنزل ، وكانوا يداومون على تلاوته في المسجد وفي بيوتهم حتى انه كان يسمع لهم دوي كدوي النحل وهم يتلـون القرآن ، أما الذين تعلموا الكتابة منهم فقد كانوا يسجلون ما ينزل في مصاحفهم الخاصة أولاً بأول ، وهكذا تضافرت كل الجهود من أجل توثيق القرآن والاهتمام به ، ومما يقوي صحة النص القرآني هو أنه لم يكن يكتب في عهد النبي ﷺ ولا في عهد خلفائه أي شيء عدا القرآن وذلك للنهي الصريح الوارد من الرسول حين قال : « لا تكتبوا شيئاً غير القرآن ومن كتب شيئاً فليمحه »[20] .

ولم يكن الحرص في عهد الخلفاء بأقل مما كان في عهد الرسول ﷺ فعمر بن الخطاب تنبه لأول خطر يمكن أن يلحق النص القرآني بموت عدد من حفاظه وهو غير مجموع في مصحف واحد متفق عليه ، ومن هذا أشار على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن الذي اختار لهذه المهمة كاتب الوحي زيد بن ثابت واشترط لذلك أن تقارن النصوص المكتوبة بما هو محفوظ وأن يشهد شاهدان على صحة ما يؤتى به من نصوص ، وبطريقة علمية دقيقة جمع المصحف كله وحفظ ولم يكن ملزماً للأمة من حيث ترك مصاحفهم الخاصة أو الالتزام بقراءة واحدة ، واستمر الحال كذلك إلى أن دق ناقوس الخطر مرة أخرى في عهد عثمان رضي الله عنه حين اختلف القراء في قراءة القرآن وظهر النزاع حوله حتى كاد أن يؤدي إلى فتنة عظيمة ولكن العناية الإلهية ألهمت عثمان بأن ينسخ من مصحف أبي بكر نسخاً تجمع الأمة على مصحف ثابت يكون ملزماً لها بحيث يترتب عليه حرق المصاحف الخاصة واتباع ما اتفق عليه في هذا المصحف دون أن يترك أي باب للإختلافات مهما كانت بساطتها، واتبع عثمان أيضاً منهجاً علمياً دقيقاً قامت به لجنة ممن تثق الأمة في خلقهم ودينهم ومن هذا المصحف أخذت الأمة القرآن وداومت عليه إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد توفر للقرآن الكريم كل أسباب التوثيق والعناية التي لم تتوفر لكتاب سماوي قبله ويكفي أن نعلم أن الأناجيل كتبت بعد المسيح بأكثر من مائتي سنة ، أي أنها كتبت في غير زمانها وبغير لغتها وفي غيبة صاحبها ، ويكفي أن نعلم أنه : « بين آخر كتبهم تدويناً في زعمهم ، ومعرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لا راوي يرويها ، وقد وقع بهم من الأحداث في هذه المدة ما يذهب باللب ويضيع الرشد وينسي المرء معه كل شيء وإن الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد فقد أصدر أحد أباطرة الروم سنة 303 أمـراً بهدم الكنائس وإحراق الكتب وعدم اجتماع المسيحيين لأداء عباداتهم »[21] . ولم يكن هذا حال الأناجيل فقط وإنما وقع التحريف للتوراة أيضاً فـ « منذ أن استودع موسى كهنة الهيكل توراته لم يتوقف هؤلاء عن تحرير الأسفار والأمثال والأناشيد والمزامير وإضافتها إلى هذه التوراة . . . . بل خصصوا وظائف رسمية في الهيكل لجماعة من الكتبة مهمتهم تدوين ما يمليه الكهنة ، ويلقنونه للناس ضمن ما يذيعون عليهم من نصوص تعاليم الرب ووصاياه »[22] .

وهكذا وبهذه المقارنة البسيطة العاجلة يتضح الفرق بين القرآن وبين ما سبقه من كتب حيث نجد أن القرآن يفوقها صحة ووثوقاً ولا أحد يستطيع أن يشكك ولو في حرف واحد منه ، وقد أثبتت الابحاث العلمية الأخيرة مدى صحة نصوص القرآن وأخرجت للعالم برهاناً جديداً يعتمد الاعجاز العددي للقرآن

كطريق لاثبات أن القرآن منذ أن نزل على سيدنا محمد ﷺ لم ينقص منه حرف واحد ولم يزد فيه حرف واحد ، ولا غرابة في ذلك فهو الكتاب الذي اختاره الله أن يكون شريعة لكل المجتمعات البشرية إذا هي أرادت الحياة السعيدة الهانئة .

ثانياً : إن القرآن يساير الفطرة الانسانية ويتمشى مع طبيعتها ، وقد جاء تشريعه يسيراً سمحاً معتدلاً ، لا تكليف فيه بما لا يطاق ولا أمر فيه بما هو مستحيل يعجز البشر عن تنفيذه ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها** ﴾[23] ، وهو أيضاً تشريع يحارب الرهبنة والطقوس والأباطيل والاوهام ، ويتجاوب مع متطلبات النفس المادية والروحية فلا يهبط بالنفس الانسانية إلى رذائل الملذات ولا يرقى بها إلى مرتبة الملائكة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** ﴾[24] ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾[25] .

ثالثاً : إن القرآن بما يطرحه من قضايا عامة صالح للتطبيق الدائم في كل زمان ومكان ، وذلك لثبات مبادئه وأحكامه وعدم قابليتها للتغيير والتبديل ، ولما في أحكامه وتشريعاته من مرونة يتمكن الإنسان من العمل بها وتطبيقها على اختلاف الظروف والأحوال والأمكنة ، فإقامة العدل وتطبيق نظام الشورى في الحكم ورفع الحرج ودفع الضرر ورعاية الحقوق لأصحابها وأداء الأمانات لأهلها وغير ذلك من المبادىء الأخرى التي طرحها القرآن كلها مبادىء عامة يسيرة التطبيق في أي مكان وتحت أي ظرف .

رابعاً : إن القرآن تشريع يحترم العقل ويقدره ويجعل له دوراً بارزاً في التكاليف والأحكام المنوط به تنفيذها ، بل ويجعل العقل من النعم التي يجب على الإنسان إعمالها بالنظر والتفكر في هذا العالم وفي هذا الإنسان ، وينهي عن الغفلة عن آيات الكون وعن التقليد والجمود وهذه سمة ملاحظة في آيات كثيرة ختمت بقوله تعالى : ﴿ **يعقلون** ﴾ ﴿ **يتفكرون** ﴾ ﴿ **يتذكرون** ﴾ ﴿ **لأولي الألباب** ﴾ ﴿ **لأولي النهى** ﴾ ﴿ **لأولي الأبصار** ﴾ ، والقرآن ينهي الإنسان عن اتباع ما لا يعلم لأنه مسؤول عن حواسه التي أنعم الله بها عليه ﴿ **ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾[26] وهكذا نجد القرآن يهدف إلى طرح قضايا عقلانية تنطلق من الاقتناع الكامل لكل ما يكلف به الإنسان دون أن يكون هناك أمر تعسفي أو تكليف إجباري .

خامساً : ويرتبط بما تقدم أمر آخر مهم وخطير وهو أن القرآن باحترامه للعقل وجعله مناط التكليف يؤكد مبدأ الرقابة الذاتية في الفرد ، فهو وفق توجيهات القرآن لا يحتاج إلى شرطة تقف بجانبه دائمًا وتقيد سلوكه وتوجه تصرفاته بل يجعل الإنسان هو الرقيب على نفسه ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[1] ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾[2] ﴿ **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ﴾[3] ، ويقرر القرآن عقوبات دنيوية وأخروية لكل من يخرج عن الإطار الذي رسمه للحياة وإذا أفلت الإنسان من العقاب الدنيوي فهو ملاحق دائمًا بتأنيب الضمير وبما سيناله من عقاب أخروي ، وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي يستطيع الإنسان الإفلات من عقابها أحياناً .

هذه هي بعض الصفات التي يتميز بها القرآن والتي تجعله شريعة إلهية ثابتة موثقة إنسانية عقلانية ،

وبهذه الصفات الفريدة التي لا تتوفر في تشريع إلهي سابق ولا في تشريع وضعي وجب علينا أن نجعل القرآن شريعة للمجتمع حتى نصل به إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ، تلك السعادة التي أرادها الله للبشرية جمعاء . فالسعادة الحقيقية هي في اتباع القرآن والمحافظة عليه تلاوة وتطبيقاً فما خاب من اتبع القرآن ومن أتى بالقرآن ﴿ الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[27]

الهوامش

(1) سورة النساء 165 .

(2) سورة المائدة 48 .

(3) التشريع الجنائي الإسلامي/ عبد القادر عودة/ جـ 1 ـ مؤسسة الرسالة/ 1981/ بيروت ص 14 -15 .

(4) تاريخ التشريع الإسلامي / د . عبد العظيم شرف الدين/ منشورات جامعة بنغازي ط 2 ـ 1974 ـ ص 34 وما بعدها .

(5) الدين / د . محمد دراز/ دار القلم/ ط 2/ الكويت / 1970/ ص 180 .

(6) الآية 72 من سورة يونس .

(7) الآية 132 من سورة البقرة .

(8) الآية 133 من سورة البقرة .

(9) الآية 84 من سورة يونس .

(10) الآية 22 من سورة آل عمران .

(11) الدين/ د . محمد دراز .

(12) الآية 13 من سورة الشورى .

(13) الآية 36 من سورة البقرة .

(14) الآية 40 من سورة الأحزاب .

(15) الآية 3 من سورة المائدة .

(16) الآية 103 من سورة الأعراف .

(17) الآية 28 من سورة سبأ .

(18) الآية 14,13 من سورة هود .

(19) الآية 88 من سورة الإسراء .

(20) رواه مسلم/ صحيح مسلم جـ 18/ 129 ـ بشرح الإمام النووي وينظر مع الإتقان جـ 164/1 .

(21) محاضرات في النصرانية/ محمد ابو زهرة/ دار الفكر العربي/ ط 3 / 1966م/ ص 106 .

(22) الإسلام ضرورة عالمية/ زاهر عزب الزغبي/ الهيئة المصرية للتأليف/ 1971/ ص 67 .

(23) الآية 285 من سورة البقرة .

(24) الآية 87 من سورة المائدة .

(25) الآية 172 من سورة البقرة .

(26) الآية 36 من سورة الإسراء .

(27) الآية 1/ البقرة .